## الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه.

أما بعد :

**يقول رحمه الله تعالىٰ :**

**وَمِنْ دَوَاعِي الْإِيمَانِ وَأَسْبَابِهِ: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ دِينِهِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ أَصْلِ الدِّينِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ الْتِزَامِ شَرَائِعِهِ، بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.**
**وَبِذَلِكَ يَكْمُلُ الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ، ويُكَمِّلُ غَيْرَهُ، كَمَا أَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِالْعَصْرِ أَنَّ جِنْسَ الْإِنْسَانِ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا مَنِ اتَّصَفَ بِصِفَاتٍ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ -اللَّذَيْنِ بِهِمَا تَكْمِيلُ النَّفْسِ-، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ - الَّذِي هُوَ: الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالدِّينُ الْحَقُّ-، وَبِالصَّبْرِ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِهِمَا؛ يُكَمِّلُ غَيْرَهُ.**
**وَذَلِكَ أَنَّ نَفْسَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ وَالنَّصِيحَةِ لِعِبَادِهِ؛ مِنْ أَكْبَرِ مُقَوِّيَاتِ الْإِيمَانِ، وَصَاحِبُ الدَّعْوَةِ لَا بُدَّ أَن يَسْعَىٰ بِنَصْرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَيُقِيمَ الْأَدِلَّةَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَىٰ تَحْقِيقِهَا، وَيَأْتِي الْأُمُورَ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَيَتَوَسَّلَ إِلَىٰ الْأُمُورِ مِنْ طُرُقِهَا، وَهَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ طُرُقِ الْإِيمَانِ وَأَبْوَابِهِ.**
**وَأَيْضًا: فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَمَا سَعَىٰ إِلَىٰ تَكْمِيلِ الْعِبَادِ وَنُصْحِهِمْ وَتَوْصِيَتِهِمْ بِالْحَقِّ، وَصَبَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ لَا بُدَّ أَن يُجَازِيَهُ اللهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ، وَيُؤَيِّدَهُ بِنُورٍ مِنْهُ، وَرُوحٍ، وَقُوَّةِ إِيمَانٍ، وَقُوَّةِ تَوَكُّلٍ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ وَقُوَّةَ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، يَحْصُلُ بِهِ النَّصْرُ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، وَشَيَاطِينِ الْجِنِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:**

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

**وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ مُتَصَدٍّ لِنَصْرِ الْحَقِّ، وَمَنْ تَصَدَّىٰ لِشَيْءٍ، فَلَا بُدَّ أَن يُفْتَحَ عَلَيْهِ فِيهِ - مِنَ الْفُتُوحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِيمَانِيَّةِ-، بِمِقْدَارِ صِدْقِهِ وَإِخْلَاصِهِ.**

**الشرح:**

فهذا سببٌ آخر وداع من دواعي الإيمان ومن موجبات تقويته ونماءه وزيادته الدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ومن ما ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن كل مبدأ من المبادئ أو فكر من الأفكار أو رأي من الآراء أو غير ذلك لا ينتشر إلا بالدعوة وكلما نشط أصحاب مبدأ أو فكر أو رأي في الدعوة إلىٰ فكرهم ورأيهم انتشر بين الناس حتىٰ لو كان من أبطل الباطل ، حتىٰ لو كان من أبطل الباطل وأشد الضلال وأعظم الكفر ، لكن الإسلام بصفاءه ونقاءه ووضوحه وجلاءه ونوره وضياءه ينتشر بنفسه ، ينتشر بنفسه وإذ انضاف إلىٰ ذلك حملةٌ ثقات ودعاة ناصحون عظم انتشارهم لأن الإسلام حق أبلج نورٌ واضح ضياء مبين ،

صراطٌ مستقيم ، تقبله العقول السليمة والفطر القويمة ليس فيه إلا مكارم الأخلاق وجميل الآداب ، وعظيم الأعمال ليس فيه إلا صلاح العبد بينه وبين الله سبحانه وتعالىٰ وصلاحه في تعامله مع العباد ، الإسلام كله نورٌ وضياء ، فهو ينتشر بنفسه وإذا نهض حملته ورجالاته للدعوة إليه ونصح العباد فإن هذا يكون أعظم في انتشاره ، والدعوة من أعظم المقويات للإيمان وموجباته والناس بحاجة إلىٰ الدعوة إلىٰ الله بحاجة إلىٰ التذكير به سبحانه وتعالىٰ ، بحاجة إلىٰ من يعلمهم أصول دينهم وأعماله العظيمة وأخلاقه الكريمة وآدابه الرفيعة ، وكلما تحقق هذا التعليم والدعوة والتذكير والوعظ زاد الصلاح في الناس وقد ترىٰ قرية من القرىٰ أو بلدة من البلدان خيّم عليها الجهل ، واستنهكتها الشهوات والملهيات فيقيض الله سبحانه وتعالىٰ لهم رجلاً واحداً يعمل فيهم بالدعوة إلىٰ الله عز وجل فإذا رأيتها بعد سنوات فإذا بها قد تغيرت وأصبح العلم فيها ظاهر ، والسنة ظاهرة ومحبة الخير ظاهرة والمصلين كثر ، فالدعوة من أهم مقويات الإيمان ، الدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ من أهم مقويات الإيمان ومن أهم أسباب زيادته وقد كان الصحابة رضي الله عنهم ينادي بعضهم بعضاً بين وقت وآخر هلموا نزدد إيماناً ، تعالوا نزدد إيماناً ، يجلسون مجلس تذاكر ومدارسة لآيات الله وأحاديث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مما يزدادون به إيماناً مع إيمانهم ، ونوراً إلىٰ نور ، وخيراً إلىٰ خير ، وضياءً إلىٰ ضياء ، فالدعوة شأنها عظيمٌ جداً ، وتبصير الناس ومناصحتهم وتذكيرهم ووعظهم والخطابة يوم الجمعة هذه مباركة ، الخطابة يوم الجمعة هذه مباركة فيها بركة عظيمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالىٰ ، وهذه الجمعة التي يجتمع الناس فيها علىٰ الخير والذكر والوعظ من جمال هذا الدين ، فالشاهد أن الدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ من أعظم موجبات الإيمان وأعظم مقوياته والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والأصل أن الإنسان أولاً يعمل علىٰ إصلاح نفسه بالعلم والعمل ، بالهدىٰ ودين الحق ، أولاً يعمل علىٰ إصلاح نفسه وإنقاذها من الجهل ، وإنقاذها من الضلال ، إلىٰ العلم الصحيح والعمل الصالح ، ثم يعمل بعد ذلك علىٰ إيصال هذا الخير للغير وتعديته إلىٰ الآخرين كما قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ أربعة أمور هي سبب النجاة في هذه الحياة الدنيا من الخسران ، الأول من هذه الأمور أن يعمل المرء علىٰ تكميل نفسه بالعلم والعمل آمنوا وعملوا الصالحات ، والثاني يعمل علىٰ تكميل الآخرين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، والعمل علىٰ تكميل الآخرين بالنصح والوعظ والتذكير والنهي عن المحرمات لابد أن يكون فيه شيء من الأذىٰ فيصبر محتسباً عند الله سبحانه وتعالىٰ ، ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذا كمال المرء في نفسه ، ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ تكميله للآخرين ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ فيكمل المرء نفسه أولاً بالعلم والعمل ثم يعمل علىٰ تكميل الآخرين ، ومناصحة الآخرين ، ومما ينبغي أن ينشئ عليه الصغار أن ما يعمل به من خير يبلغه للآخرين من زملائه وأصدقائه ورفقائه مثل ما قال لقمان لابنه : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ والقاعدة كما قيل قديماً إذا لم تدعو تدعىٰ ، إذا لم يكن المرء داعيةً إلىٰ الحق والهدىٰ صار غرضاً لدعاة الشر ، لكن إن اشتغل بالدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ولو في القليل

بما آتاه الله لكن مما تَبَصّرَه من دين الله وعرفه ، فإنه في أقل أحواله يسلم بذلك من دعاة الشر ؛ من دعاة الشر لأنه عُرف بنصح الناس وعظهم وتذكيرهم ، فالشاهد أن الدعوة والتواصي والتذكير من أعظم مقويات الإيمان ومن أعظم أسباب نماءه وانتشاره ، ونبه الشيخ رحمه الله علىٰ أمرٍ مهم يرجع إلىٰ الداعي إلىٰ الله بحق وصدق ، ألا وهو أن الجزاء من جنس العمل ، فمثل ما أن الداعي إلىٰ الله حريصٌ علىٰ نفع عباد الله وإخراجهم من الظلمات إرشادهم وتوجيههم حريصٌ علىٰ صلاحهم واستقامتهم ، حريصٌ علىٰ بلوغ الخير لهم ، يفرح بهدايتهم مثلما أنه كذلك يجازيه الله سبحانه وتعالىٰ بجنس عمله بأن يثبته الله علىٰ الحق ، وأن يحفظه من الفتن في نفسه وأهله وولده ، فكما أنه عاش ناصحاً لعباد الله فإن الله جل وعلا يجازيه من جنس عمله تثبيتاً له علىٰ الحق وسلامةً من الفتن وحسن الخاتمة في هذه الحياة الدنيا ، وأيضاً في أهله وولده ، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾

فصلاح الآباء ينفع الأبناء بإذن الله سبحانه وتعالىٰ ، يقول : (**فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَمَا سَعَىٰ إِلَىٰ تَكْمِيلِ الْعِبَادِ وَنُصْحِهِمْ وَتَوْصِيَتِهِمْ بِالْحَقِّ، وَصَبَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ لَا بُدَّ أَن يُجَازِيَهُ اللهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ، وَيُؤَيِّدَهُ بِنُورٍ مِنْهُ، وَرُوحٍ، وَقُوَّةِ إِيمَانٍ، وَقُوَّةِ تَوَكُّلٍ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ وَقُوَّةَ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، يَحْصُلُ بِهِ النَّصْرُ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، وَشَيَاطِينِ الْجِنِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ ].

وأمرٌ آخر نبه عليه رحمه الله في هذا المقام أن التصدي إلىٰ الدعوة ؛ الدعوة إلىٰ الله ونصح العباد من أسباب التوفيق ، وفتح الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ عبده بالخير والفهم والدراية بدين الله سبحانه وتعالىٰ من أعظم الأسباب في ذلك وهذا راجعٌ إلىٰ الذي قبله وهو أن الجزاء من جنس العمل ، لكن ينبغي أن يتنبه في هذا المقام أن الدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لابد أن تكون علىٰ بصيرة فإنه من دعىٰ إلىٰ الله علىٰ غير بصيرة في دين الله تعالىٰ فإنما يفسد في الناس أكثر مما يصلح ، وهل انتشرت البدع والضلالات إلا بسبب الدعوة إلىٰ الله علىٰ غير بصيرة ؟! فلابد أن يكون من يدعو إلىٰ الله مخلصاً في دعوته لله داعياً إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ بصيرة مما يدعو إليه من دين الله ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ فالدعوة لابد فيها من هذه الأمرين أن تكون إلىٰ الله لا إلىٰ شخص الإنسان ونفسه وحزبه وطائفته إلىٰ الله يقول الشافعي رحمه الله : [ وددت أن الناس لو دخلوا في دين الله أفواجاً ولو قرّض جسمي بالمقاريض ] لا يكون داعياً إلىٰ نفسه ، بعض الناس يدعو ليكثر أتباعه أو المنظمون إلىٰ حزبه أو أشياء من هذا القبيل ، هذه ليست دعوة إلىٰ الله ، الدعوة إلىٰ الله هي عملٌ علىٰ إصلاح العباد ونفعهم وهدايتهم وصلاحهم وسلامتهم من الضلال ودخولهم في دين الله تبارك وتعالىٰ ، ليست دعوةً إلىٰ دعوةً من الشخص إلىٰ نفسه بأن يذكر أو يمدح أو أن يشتهر أو أن تكثر الأصوات والمؤيدين له وما إلىٰ ذلك هذه ليست دعوة إلىٰ الله ، ولابد أن تكون علىٰ بصيرة أي علم وهدىٰ ودراية بدين الله ، وليس المراد بالبصيرة أن يحيط علماً بعلوم الشريعة ومسائلها وإنما أن يكون علىٰ علم بالشيء الذي يدعو إليه ، فمن علم من أمر دينهم ولو قليلاً وتحقق بالعلم به يبلغه للآخرين ، وقد قال عليه

الصلاة والسلام بلغوا عني ولو آية ، والبلاغ نوعان : بلاغ القرآن : بلاغ ألفاظ وبلاغ معاني ، فبلاغ الألفاظ من حفظ سورةً يحفظها الآخرين وله أجر كل من يحفظه تلك السورة ، والدال علىٰ الخير كفاعله ، وبلاغ المعاني هو توضيح معاني الآيات وبيان مدلولاتها ، ولابد في هذا النوع من البصيرة بمعنىٰ الآية وبما دلت عليه ، بمعنىٰ الآية وبما دلت عليه ، فهناك أمور واضحة واضحة فيبينها كأن يقول لأحدٍ مثلاً : مقصر في صلاته : اتق الله ، حافظ علىٰ الصلاة ، يذكر له آية أو آيتين حديث أو حديثين عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يذكره بالصلاة ومكانتها ، أو يكون عنده تقصير مع والديه : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ بالصدق بالوفاء بالأمانة الطاعة العبادة ، يذكر بما يعلمه لكن لا يتقول علىٰ الله وعلىٰ دينه مالايعلم ، لا يخوض في أمور الدين وفي مسائله ما لا علم له به فإن هذا من أخطر ما يكون ، من أخطر ما يكون ومن أعظم أسباب انتشار البدع والأهواء بين الناس .

قال رحمه الله :

**وَمِنْ أَهَمِّ مَوَادِّ الْإِيمَانِ وَمُقَوِّيَاتِهِ: تَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَىٰ مُقَاوَمَاتِ جَمِيعِ مَا يُنَافِي الْإِيمَانَ؛ مِنْ شُعَبِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ.**

**فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الْإِيمَانِ مِنْ فِعْلِ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ الْمُقَوِّيَةِ الْمُنَمِّيَةِ لَهُ، فَلَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ دَفْعِ الْمَوَانِعِ وَالْعَوَائِقِ، وَهِيَ: الْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعَاصِي، وَالتَّوْبَةُ مِمَّا يَقَعُ مِنْهَا، وَحِفْظُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمُقَاوَمَةُ فِتَنِ الشُّبُهَاتِ الْقَادِحَةِ فِي عُلُومِ الْإِيمَانِ، الْمُضْعِفَةِ لَهُ، وَالشَّهَوَاتِ الْمُضْعِفَةِ لِإِرَادَاتِ الْإِيمَانِ،**

<u>الشرح:</u>

أولاً ثانياً ثالثاً هذه ليست من كلام الشيخ فيقرأ بدونها .

**فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الْإِيمَانِ مِنْ فِعْلِ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ الْمُقَوِّيَةِ الْمُنَمِّيَةِ لَهُ، فَلَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ دَفْعِ الْمَوَانِعِ وَالْعَوَائِقِ، وَهِيَ: الْإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعَاصِي، وَالتَّوْبَةُ مِمَّا يَقَعُ مِنْهَا، وَحِفْظُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمُقَاوَمَةُ فِتَنِ الشُّبُهَاتِ الْقَادِحَةِ فِي عُلُومِ الْإِيمَانِ، الْمُضْعِفَةِ لَهُ، وَالشَّهَوَاتِ الْمُضْعِفَةِ لِإِرَادَاتِ الْإِيمَانِ،**

**فَإِنَّ الْإِرَادَاتِ الَّتِي أَصْلُهَا الرَّغْبَةُ فِي الْخَيْرِ وَمَحَبَّتُهُ، وَالسَّعْيُ فِيهِ؛ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِتَرْكِ إِرَادَاتِ مَا يُنَافِيهَا مِنْ رَغْبَةِ النَّفْسِ فِي الشَّرِّ، وَمُقَاوَمَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ.**

**فَمَتَىٰ حُفِظَ الْعَبْدُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي فِتَنِ الشُّبُهَاتِ، وَفِتَنِ الشَّهَوَاتِ؛ تَمَّ إِيمَانُهُ، وَقَوِيَ يَقِينُهُ، وَصَارَ مَثَلُ بُسْتَانِ إِيمَانِهِ** ﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

**وَمَتَىٰ كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ، بِأَنِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، وَوَقَعَ فِي فِتَنِ الشُّبُهَاتِ أَوِ الشَّهَوَاتِ، أَوْ كِلَيْهِمَا؛ انْطَبَقَ عَلَيْهِ هَذَا الْمَثَلُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ** ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن

تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾ [سورة البقرة].

**الشرح:**

هذا أمرٌ ختم به رحمه الله تعالىٰ ذكره لمقويات الإيمان وأسباب نماءه وزيادته ألا وهو أن دفع العبد للأمور المنافية للإيمان والقادحة فيه إما في أصله أو في كماله كماله الواجب أو كماله المستحب مدافعة العبد لهذه الأشياء ومباعدته عنها من أعظم أسباب ثبات الإيمان وزيادته فإن الإيمان كما أنه يزيد بالطاعة فإنه كذلك يزيد بتجنب المعصية لأن المعصية تنقص الإيمان ، فتركها تقربـًا إلىٰ الله إيمان ، تركها تقربـًا إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إيمان داخلٌ في إيمانه ، فإن الإيمان كما أنه شاملٌ لفعل الطاعات فإنه كذلك شاملٌ لتجنب المعاصي والخطيئات ، قد قال عليه الصلاة والسلام : [ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ] فسمىٰ الترك إسلامـًا وعملاً ، وقال عليه الصلاة والسلام : [ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبةً يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن ] وقال : [ لا إيمان لمن لا أمانة له ] الأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة ، فكما أن الإيمان يزداد بفعل الطاعات فإنه كذلك يزداد بتجنب المعاصي والبعد عنها تقربـًا إلىٰ الله وطلبـًا لرضاه وخوفـًا منه سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ فتجنب الحرام والبعد عن الآثام من أعظم الأمور التي يحصل بها قوة الإيمان وصلاح العبد وزكاء النفس ، فكما أن هذه الذنوب والمعاصي تمرض القلوب وتضعف الإيمان فإن البعد عنها زكاء للقلوب وصلاحٌ للإيمان ، فيقول رحمة الله عليه : (**وَمِنْ أَهَمِّ مَوَادِّ الْإِيمَانِ وَمُقَوِّيَاتِهِ: تَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَىٰ مُقَاوَمَاتِ جَمِيعِ مَا يُنَافِي الْإِيمَانَ؛ مِنْ شُعَبِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ.**) والله جل وعلا يقول : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ لابد من عملٍ جاد علىٰ البعد عن هذه الأمور الكفر والفسوق والعصيان ، منها ما ينافي الإيمان من أصله وأساسه ، ومنها ما ينافي الإيمان في كماله الواجب فيتجنب ذلك كله ويبتعد عنه ويقاومه ويحذر من الوقوع فيه فهذا كله من أعظم دواعي الإيمان ومقوياته ، ووضح رحمه الله أن ذلك يتحقق بالإقلاع عن المعاصي تركها الندم علىٰ فعلها التوبة النصوح إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ من ذلك ، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾

فيتوب إلىٰ الله جل وعلا من جميع الذنوب يعمل علىٰ حفظ جوارحه من بعد هذه التوبة علىٰ حفظ جوارحه من أن تقع مرة أخرىٰ في تلك الذنوب فيبتعد عن مواطنها ويسد منافذها التي تفضي إليها ويجاهد نفسه

مجاهدة تامة علىٰ السلامة منها ، ويعمل علىٰ مقاومة فتن الشبهات القادحة في علوم الإيمان المضعفة له ، وفتن الشهوات المضعفة لإرادات الإيمان ، والعبد يحتاج من أجل أن يسلم له دينه أن يحذر من هاتين الفتنتين فتنة الشهوات وفتنة الشبهات ، فتنة الشبهات مضرتها علىٰ علومه الدينية ، تفسد عليه علومه ، لأن الشبهات تدخل علىٰ قلبه التصورات الخاطئة والفهوم المنحرفة والعلوم الضالة فتزاحم العلم الصحيح فيمرض القلب بها ، وفتن الشهوات تفسد عليه أعماله الصالحة ، فتن الشهوات تفسد عليه أعماله الصالحة وتقربه إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ فبدلاً من أن يكون قلبه مريداً للخير راغباً فيه تدخل عليه فتن الشهوات فتزاحم ما في القلب من إرادة الخير فيصبح فيه إرادة للشر ومنازعة لفعل الشر والوقوع فيه ، فيحتاج العبد أن يدفع عن نفسه فتن الشبهات وفتن الشهوات ، والشيطان في دخوله علىٰ الإنسان لإفساده وحربه عن دين الله سبحانه وتعالىٰ يدخل عليه من هذين المدخلين إن وجد عنده تدين ، إن وجد عنده تدين ومحبة للخير والعبادة والطاعة دخل عليه من مدخل الشبهة ، وإن وجد عنده قصوراً في التدين وضعفاً فيه دخل عليه مدخل الشهوة ورغبه فيها ولا يبالي عدو الله بهذا الإنسان كيفما هلك المهم أن يهلك وينحرف عن الصراط المستقيم ، إما إلىٰ شهوة مهلكة أو شبهة مفسدة ، لايبالي عدو الله في أي الواديين من وادي الهلاك هلك الإنسان المهم أن يخرجه عن صراط الله المستقيم : ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾

قال رحمه الله :

**فَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ الْمُوَفَّقُ لَا يَزَالُ يَسْعَىٰ فِي أَمْرَيْنِ:**

**أَحَدُهُمَا: تَحْقِيقُ أُصُولِ الْإِيمَانِ وَفُرُوعِهِ، وَالتَّحَقُّقُ بِهَا؛ عِلْمًا، وَعَمَلًا، وَحَالًا.**

**وَالثَّانِي: السَّعْيُ فِي دَفْعِ مَا يُنَافِيهَا وَيَنْقُضُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مِنَ الْفِتَنِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَيُدَاوِي مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنَ الْأَوَّلِ، وَمَا تَجَرَّأَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّانِي؛ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وتَدَارُكِ الْأَمْرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ.**

**الشرح :**

هذا كلام متين جداً وعظيم وفيه خلاصة لكل ما سبق ، خلاصة نافعة جداً ومهمة للغاية وحقيقة ينبغي أن ينظر فيه مرة أخرىٰ وثانية وثالثة ، كلام عظيم جداً ، فيه خلاصة مهمة يحتاجها المسلم حاجة ماسة لضبط نفسه في إيمانه وعبادته ومحافظته علىٰ دينه ، يقول رحمه الله تعالىٰ : (**فَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ الْمُوَفَّقُ لَا يَزَالُ يَسْعَىٰ فِي أَمْرَيْنِ:أَحَدُهُمَا: تَحْقِيقُ أُصُولِ الْإِيمَانِ وَفُرُوعِهِ، وَالتَّحَقُّقُ بِهَا؛ عِلْمًا، وَعَمَلًا، وَحَالًا.**) هذا الأمر الأول أن يعمل علىٰ تقوية إيمانه عقيدةً وعبادةً وخلقاً ، فيجتهد في هذا الباب ، يتعلم من علوم الإيمان وأصوله وفروعه وما يقوي به صلته بربه سبحانه وتعالىٰ إصلاحاً لنفسه تزكية لقلبه ، إصلاحاً لعمله وعبادته والأمر الثاني : (**السَّعْيُ فِي دَفْعِ مَا يُنَافِيهَا**) ما ينافي هذه الأصول والأعمال ، (**السَّعْيُ فِي دَفْعِ مَا يُنَافِيهَا وَيَنْقُضُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مِنَ الْفِتَنِ**) لأن أمور الإيمان أصوله وأعماله لها نواقص ونواقض ، فيحتاج المرء أن يأتي بهذه الأصول والفروع ثم يجتهد في سلامتها من النواقض والنواقص ، النواقض من شأنها أنها تهدم الإيمان تبطل العمل ، مثل ما قال الله سبحانه : ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ هذا ناقض مثل قوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن

﴿قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ هذا ناقض ، فالإسلام له نواقض إذا وجدت بطل الدين كله وفسد برمته ، وهناك نواقض لا تبطل الدين لكنها تسبب بضعفه ونقصه ويكون شدة النقص بحسب هذه النواقص ، فيحتاج العبد في هذا المقام إلىٰ دفع ما ينافيها وينقضها أو ينقصها ، ينقضها أي من نواقض الدين ، وينقصها أي من مضعفات الإيمان ،( **مِنَ الْفِتَنِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ،** )

قال رحمه الله : (**وَيُدَاوِي مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنَ الْأَوَّلِ،** ) ما قصّر فيه من الأول من أصول الإيمان وفروعه والتحقق بها علماً وعملاً كل ما كان عنده قصور فيه يداويه يحاول أن يكمله ،(**وَيُدَاوِي مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنَ الْأَوَّلِ،** ) الذي هو تحقيق أصول الإيمان ، (**وَمَا تَجَرَّأَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّانِي؛**) أي ويداوي ما تجرأ عليه من الثاني الذي هو الأمور التي تنافي الإيمان ، فإذا كان وقع في شيء من ذلك يعمل علىٰ معالجة هذا الأمر بالتوبة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ مثل ما قال رحمه الله : (**وَمَا تَجَرَّأَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّانِي بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وتَدَارُكِ الْأَمْرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ.**) ولا يزال باب التوبة مفتوحاً ما لم يغرغر العبد ، ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ ومالم تطلع الشمس من مغربها فإنه إذا طلعت الشمس من مغربها طبع علىٰ كل قلب بما فيه ، فيبادر الإنسان بالتوبة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ويتدارك نفسه قبل الفوات قبل الندم ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾

**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾[سُورَةُ الأَعۡرَافِ] **أَيْ: مُبْصِرُونَ الْخَلَلَ الَّذِي وَقَعُوا فِيهِ، وَالنَّقْصَ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنْ طَائِفِ الشَّيْطَانِ، الَّذِي هُوَ أَعْدَىٰ الْأَعْدَاءِ لِلإِنْسَانِ، فَإِذَا أَبْصَرُوا؛ تَدَارَكُوا هَذَا الْخَلَلَ بِسَدِّهِ، وَهَذَا الْفَتْقَ بِرَتْقِهِ، فَعَادُوا إِلَىٰ حَالِهِمُ الكَامِلَةِ، وَعَادَ عَدُوُّهُمْ حَسِيرًا ذَلِيلًا،**﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢﴾ [سُورَةُ الأَعۡرَافِ]، **الشَّيَاطِينُ لَا تَقْصُرُ عَنْ إِغْوَائِهِمْ وَإِيقَاعِهِمْ فِي أَشْرَاكِ الْهَلَاكِ، وَالْمُسْتَجِيبُونَ لَهُمْ لَا يَقْصُرُونَ عَنْ طَاعَةِ أَعْدَائِهِمْ، وَالاِسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِمْ، حَتَّىٰ يَقَعُوا فِي الْهَلَاكِ، وَيَحِقَّ عَلَيْهِمُ الْخَسَارُ.**

**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، بِفَضْلِكَ وَمِنَّتِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.**

**الشرح :**

وهذا تنبيهٌ ختم به رحمه الله تعالىٰ في باب زيادة الإيمان وتقويته والعمل علىٰ حفظه والمحافظة عليه وإبعاده عن نواقصه ونواقضه ، أن يحذر العبد أشد الحذر من هذا العدو ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ الذي يراك

ولا تراه ، وعدوٌ يراك ولا تراه شديد المؤنة ، ومثل هذا العدو في خطف الإيمان في خطف الإيمان من العبد إما بهدم إيمانه أو بإضعاف إيمانه مثله كما ذكر ابن القيم وأحسن وأفاد مثل هذا العدو مثل كلبٍ جائع بأشد ما يكون من الجوع وعنده رجل معه قطعة لحم بين يديه بحاجة إليها وإذا بهذا الكلب يطوف عليه من كل جهاته من الأمام ومن الوراء ومن اليمين ومن الشمال ينتظر أي غفلة من صاحب هذا اللحم عن لحمه ليخطف لحمه ، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ يأتي المرء من كل جهاته ، يأتيه من كل جهاته وهو قاعدٌ له بأطرقه كلها وهو عدو يراك ولا تراه فيحتاج العبد في محافظته علىٰ إيمانه أن يستعيذ بالله من الشيطان ، اللهم أعذنا أجمعين من الشيطان ، أن يستعيذ بالله من الشيطان ، قال الله تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ فالمؤمن يفزع إلىٰ الله كلما مسه الشيطان بوساوسه والأفكاره الرديئة والدعوة إلىٰ الحرام وحرّك في قلبه الشهوات ، وألقىٰ في قلبه الوساوس يلجأ إلىٰ الله يذكر الله يستعيذ بالله سبحانه ، يعتصم بالله ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾ ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ أي مبصرون الخلل الذي وقعوا فيه ، والنقص الذي أصابهم من طائف الشيطان ، لكن لا يبصر الإنسان الخلل إلا إذا فزع إلىٰ الله بالاستعاذة والذكر واللجوء الصادق إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ،(**فَإِذَا أَبْصَرُوا؛ تَدَارَكُوا هَذَا الْخَلَلَ بِسَدِّهِ، وَهَذَا الْفَتْقَ بِرَتْقِهِ، فَعَادُوا إِلَىٰ حَالِهِمُ الكَامِلَةِ، وَعَادَ عَدُوُّهُمْ حَسِيرًا ذَلِيلًا،**﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢﴾ إخوان الشيطان يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ، الشياطين لا تقصر عن إغواء الإنسان والإيقاع في شَرَك الهلاك ولكن من اعتصم بالله سبحانه وتعالىٰ وأحسن الإلتجاء إليه أعاذه الله وحماه وواقاه ، وإذا خرج العبد من بيته وقال : بسم الله توكلت علىٰ الله لاحول ولا قوة إلا بالله قيل له : هديت وكفيت ووقيت ، قال الشيطان للآخر كيف لك السبيل بعبدٍ هدي وكفي ووقي ! ، فمن يعتصم بالله ذكراً واستعاذةً وتوكلاً والتجاءً حماه الله سبحانه وتعالىٰ وسلمه ووقاه ثم ختم رحمه الله تعالىٰ بهذه الدعوة : (**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، بِفَضْلِكَ وَمِنَّتِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.**) وبها يختم هذا المجلس ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صلي وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه .